

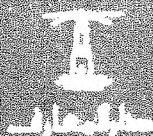
کتاب

۱۵۹

عمید ا.ح. محمد فرید السید حجاج

مذکرات الزعيم احمد عرابي

96



١٥٩

حكايات

رئيس التحرير أنيس منصور

عميد أ.ح. محمد فريد السيد حجاج

مذكرات الزعيم أحمد عرابي



دار المعارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في مثل هذا العام منذ مائة عام كانت بداية الثورة العراقية ، هذه الثورة التي تعتبر من العلامات المضيئة في تاريخ الشعب المصري ، وتعرضت الثورة العراقية لمسميات عدة : مَنْ قال إنها فتنة عسكرية . ومن قال إنها هوجة عرايى ، ولكن المنصف من المؤرخين للتاريخ يضع هذه الثورة في مكانها الصحيح في تاريخ مصر الحديث ، وأنها كانت انتفاضة شعبية تلاحم فيها جيش مصر وباقي طوائف الشعب للذود عن الوطن والعيش في كرامة وحرية ، ولولا أصابع الخيانة والتدخل الأجنبي - سواء الإنجليزى أو التركى - لكان نجاح هذه الثورة مؤكداً . ولكانت نقطة انطلاق لمصر ، والحقيقة أن الثورة العراقية هى إحدى الحلقات الرئيسية في تاريخ مصر الحديث ، ومن الواجب على المصريين أن يعيدوا دراسة تاريخهم بعمق واتزان وبدون حساسيات ، ويتدارسوا العبر والدروس المستفادة ، لأن تاريخ كل أمة من الأمم هو المرجع الذى يمكن أن يرجعوا إليه للاستفادة به ، فما كان صواباً يحسنوه ويستمرروا عليه ، وما كان خطأً يجتنبوه ، وما التاريخ إلا مسرح كبير تعاد عليه

المسرحيات ولكن بأشكال مختلفة ، لهذا كان من الأهمية دراسة الثورة العرابية كحركة وطنية ووثبة من وثبات التحرير ، مع دراستها ومعرفة أصولها وفروعها وأسباب النجاح والفشل ، كل هذا يجب أن يكون بعيداً عن الأهواء ..

ولو نظرنا للثورة العرابية وأسبابها لا يمكن أن نحجب النظر عن الفترة الزمنية القصيرة التي سبقت الثورة . بل يجب أن يكون نظرنا أبعد من ذلك بكثير ، فإن الأطماع الأوربية - وخاصة الإنجليزية والفرنسية - بدأت تضع مصر في دائرة أطماعها بدءاً من الحملة الفرنسية على مصر ، فلقد سلطت هذه الحملة الضوء على أهمية مصر وموقعها ، وبدأ الإنجليز من ذلك الوقت يتحينوا الفرصة للاستيلاء عليها وضمتها إلى إمبراطوريتهم ..

فلقد انتهز الإنجليز فرصة طرد الحملة الفرنسية من مصر ووجهوا إلى مصر حملة فريزر عام ١٨٠٧ بغرض ضم مصر إليهم ، والتي استطاع الشعب المصرى فى مدينة رشيد القضاء عليها ، وتم طرد هذه الحملة ، ولكن عين بريطانيا كانت دائماً على مصر . وبعد تولى محمد على حكم مصر كانت بريطانيا له بالمرصاد ولم تعط الفرصة له لإقامة دولة قوية فى مصر ، وكانت وراءه بالمرصاد وعندما وجدت أن الجيوش المصرية تدق أبواب إستانبول عاصمة آل عثمان أثارت الدول على محمد على وعملت

على طرده من الشام ، ولم تكتف بهذا بل عملت على تكييل وتعبيد مصر والعمل على وأد هذه القوة الجديدة وذلك بإبرام معاهدة لندن عام ١٨٤٠ وما تم بعد ذلك من تساويات في عام ١٨٤١ ، وبذلك وضعت أول القيد في مصر .

ثم ظهر في الأفق مشروع حفر قناة السويس ، ليكون ممراً بحرياً يربط الهند بالغرب عبر مصر ، وعارضه محمد علي وكذلك عباس الأول ، ولكن في خلال عهد والى مصر سعيد باشا نجح ديلبس في إقناعه في البدء في حفر قناة السويس مما زاد من أطماع بريطانيا وضرورة التحكم والسيطرة على مصر بعد حفر قناة السويس ، وعدم السماح لأى دولة أخرى بامتلاك مصر ، كل هذا والدولة العثمانية تعاني من أمراضها ولا تستطيع أن تفعل شيئاً غير المكاييد والمؤامرات على مصر ، وتلقى الرشاوى ، وأخيراً تم افتتاح قناة السويس رسمياً في ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ وواكب هذا الافتتاح مظاهر من البذخ والإسراف لم تشهد له البلاد مثيلاً من قبل ذلك في عهد خديوى مصر إسماعيل باشا ، وضاعت الحلقات حول مصر .

وبدأ عهد خديوى مصر إسماعيل باشا الذى كان يطمع أن يدفع مصر لكى تسير النهضة الأوربية ولكنه لم يلتفت إلى الجوهر أو المضمون ، بل وضع مجهوده في إعطاء مصر قشور الحضارة

ومظاهرها ، واضطر إسماعيل باشا إلى الاستدانة من بنوك أوروبا ، وبجانب ذلك ما تحملته مصر من نفقات لإنشاء القناة ، وهو ما لا يقل عن ١٦ مليون جنيه ، وهذا ما يزيد على نصف تكاليف إنشائها ، ونتيجة لعجز فرنسا وبنوكها عن إمداد مصر بما تطلبه تحول الخديوى إلى البيوت المالية الإنجليزية ، وسهلت إنجلترا للخديوى إمكانية إمداده بالديون ، وتدخلت بنفوذها لدى الباب العالى لتنفيذ ذلك ، وتوالت الأحداث والأزمات المالية على مصر ووصلت إلى أسوأ حال بسبب حرب الحبشة ، واضطرت مصر إلى بيع حصتها فى شركة قناة السويس وكانت إنجلترا بالمرصاد ، ولم تُضَيَّع الفرصة واشترت حصة مصر بأجنس الأثمان . . وتوالت الأحداث والأزمات المالية حتى طلب الخديوى من إنجلترا إيفاد أحد الخبراء لإنقاذ الحالة المالية ، فأرسلت الحكومة البريطانية لجنة برئاسة المستر «كيف» لكى تقدم تقريراً وافياً ، وقد جاء فى التقرير «تشكو مصر من الجهل والإهمال والتبذير . . وتشكو أيضاً من كثرة النفقات التى سببها إنجاز مشروعات إصلاحية ولكنها أُنجِزَت بسرعة وبدون دراسة» .

واقترح للعلاج إنشاء إدارة للمراقبة المالية يرأسها موظف إنجليزى . وهكذا تمت أول خطوة علنية للتدخل فى الشؤون المصرية من جانب إنجلترا - وتم إنشاء الرقابة المالية التى أصبحت رقابة عامة على الحكومة

المصرية ، والتي مُنِحَتْ سلطات واسعة في الإشراف على الدواوين ، حتى وصل الأمر إلى رهن موارد الدول وأراضيها ، وفُرِضَتْ أنواعاً مختلفة من الضرائب ، وكان من قراراتها لتوفير الأموال للحكومة إحالة عدد كبير من ضباط الجيش إلى الاستيداع ، فكان حادث اعتداء الضباط على رئيس الوزراء نوبار باشا وولسن في وزارة المالية ، ولولا تدخل الخديوى لحصل ما لا تحمد عقباه ، وتعتبر هذه الظاهرة أول نذير بالثورة العرابية ، وتميزت فترة السبعينات من القرن الماضي بنهضة فكرية كبيرة ، فنذ الحملة الفرنسية والمناخ الفكرى في تطور وانتشار لكل الأفكار الليبرالية والإسلامية ، فكان لطلاب البعثات في عصر محمد علي الفضل الكبير في هذه النهضة الفكرية ، كذلك إدخال نظم التعليم الحديثة ، وانتشار الصحافة ورسوخ أقدامها في مصر ، وكذلك ظهور شخصيتين كان لهما أكبر الأثر في نشر الوعي في ذلك الحين وهما « رافع الطهطاوى » (١٨٠١ - ١٨٧٣ م) وجمال الدين الأفغانى - (١٨٣٩ - ١٨٩٧ م) كانا عاملين نشيطين في تنشيط النهضة الفكرية ، ولونظرنا في مسار الثورة العرابية لنجد أنها اعتمدت في فكرها على تيارين فكريين هما التيار الليبرالى والتيار الإسلامى المتحرر - وبينما اكتفى التيار الأول أن يعيش في كنف السلطة مبتعداً عن السياسة ومؤمناً بأهمية التعليم كان التيار الثانى تياراً سياسياً بالدرجة الأولى . وفي خضم هذه النهضة

ظهرت قضايا فكرية هامة وكان من أهم هذه القضايا موضوع الحريات العامة والشخصية ، ذلك لأن ضغط الحكم الأوتوقراطي جعل مسألة الحرية من أوائل المسائل التي رغب الإنسان المصري في الحصول عليها وخلال هذه الفترة أيضا ظهرت قضية فكرية هامة هي المطالبة بالدستور والحياة النيابية ، وتبلورت هذه القضية في تقديم النواب والأعيان إلى الخديوى في أبريل ١٨٩٧ م باللائحة الوطنية والتي شبهها الأستاذ صلاح عيسى في كتاب الثورة العرابية بالماجنا كارثا المصرية ، ويجب أن نلاحظ أن هذا المطلب كان من المطالب الرئيسية في الثورة العرابية ، وتبلورت أيضا قضية القومية وبدء ظهور التفرقة بين العروبة والمصرية ، وبدأت القومية المصرية في التشكيل والظهور على المسرح السياسى المصرى ، ونجاح الوحدة الوطنية في مصر. ولقد كانت الثورة العرابية أول من نادى بصيحة قومية ناضجة في تاريخ مصر الحديث هي « مصر للمصريين » ، كما تميزت هذه الفترة بتكوين الحزب الوطنى ، وهو أول تشكيل لحزب سياسى في مصر في تاريخنا الحديث .

وتولى الخديوى توفيق الحكم في مصر في هذا المد الثورى العالى ، ولكنه ظل يذكر أن الأجانب هم الذين عزلوا أباه ، ولهذا فقد غالى في استرضائهم - فألغى الحكم الدستورى ، وحارب دغاة الإصلاح بالتشريد ، وطبعى فإنه لاقى مقاومة من هذه الهيئات بسبب ذلك ،

وكان على رأس الهيئات الجيش الذى كان لا يزال بعيداً عن الهيمنة الأجنبية ، ونتيجة لفتح باب الترقى للعنصر المصرى أصبح معظم أفراد هذا الجيش من الضباط والجنود المصريين الذين يجرى فى عروقهم الدم المصرى الأصيل . .

وتذكر بعض المصادر - كما جاء فى كتاب الثورة العرابية للأستاذ صلاح عيسى - أن أحمد عرابى ألف جمعية سرية فى الجيش سنة ١٨٧٦ ، وذلك بعد حرب الحبشة ، ولكنه من الثابت أن أحمد عرابى مارس نشاطاً سياسياً واسعاً داخل الجيش .

ومن هذا المنطلق بدأت بوادر الثورة العرابية فى الأفق تتجمع . ففى فبراير عام ١٨٨١ م نتيجة لتعنت وزير الحرية الشركسى عثمان رفقى وعزله لاثنتين من قادة الآلايات وتعيين بدلا منهم قادة شراكسة ، وبناء على ذلك قدم عرابى وصاحبه الأميرالاي على فهمى قائد الحرس الخديوى والأميرالاي عبد العال حلمى قائد طرة مذكرة لرئيس الوزراء رياض باشا يطلبون فيها عزل عثمان رفقى وزير الحرية وإسناد منصبه إلى وزير وطنى ، فوعدهم رياض باشا بالنظر فى مطلبهم ، ولكن بضغط من السفير الإنجليزى على خديوى مصر قرر مجلس الوزراء محاكمة الضباط الذين قدموا المذكرة ، على أن يقوم وزير الحرية عثمان رفقى بتنفيذ القرار بطريقة سرية . ولم يتبع عثمان رفقى الأصول العسكرية لتنفيذ قرار

المحاكمة ، بل تظاهر بدعوتهم إلى ديوان الوزارة لبحث ترتيبات إجراءات الاحتفاء بزفاف شقيقة الخديوى ، وما كاد ثلاثتهم يدخلون ديوان الوزارة فى قصر النيل حتى تم القبض عليهم ويُدبئ فى محاكمتهم ، ولما شعر الضباط الوطنيون بما تم تقدم البكباشى محمد عبيد على رأس آلايه نحو قصر النيل وفك قيودهم وحررهم ، وتوجهوا بعد ذلك على رأس آلاياتهم إلى عابدين فأحصى الخديوى رأسه وأذعن للأمر الواقع ، وأعاد الزعماء الثلاثة إلى مناصبهم ، وعين محمود سامى البارودى وزيراً للحرية ، وبهذا الإجراء انتصر أحمد عرابى الفلاح المصرى ، وكان هذا كافياً أن يجعله رجلاً مرموقاً من العسكريين والمدنيين ، وبهذا دخلت الثورة العرابية أول مراجعها .

وبعد استقالة محمود سامى البارودى من وزارة الحرية وتعيين إدوارد يكن باشا ابن عم الخديوى ، شعر الضباط الوطنيون فى الجيش أن النية مبيتة للبطش بهم ، وتسرب النفوذ الأجنبى فى الدولة وكبت الحريات والعمل على عدم نجاح قيام حكومة دستورية فى البلاد عملوا على الاتصال برجال الحزب الوطنى وبالأعيان والعلماء ، حدد أحمد عرابى يوم ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ م لتحريك الجيش إلى عابدين فى الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، وبعد أن اجتمعت الوحدات العسكرية وألجأهم المصرية صاح عرابى بكلمته الخالدة للخديوى « لقد خلقنا الله

أحراراً ولم يخلقنا تُراثاً أو عتاداً ، فوالله الذى لا إله إلا هو لن نكون عبيداً من اليوم » وتقدم عرابى بمطالب الجيش والشعب ، وكانت محددة فى إسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش ، وأخيراً أذعن الخديوى ، وقبل إسقاط الحكومة ، ووعده بإجابة المطلبين الآخرين وشكل شريف باشا الوزارة ..

وبعد عام ١٨٨٢ ، لم ترق فى نظر إنجلترا وفرنسا هذه النهضة الدستورية وانتصار الشعب ، فقدموا مذكرة فى ٨ يناير ١٨٨٢ ثم تبعوها بمذكرة ٢٦ يناير من نفس العام ، وهى تحوى أن مجلس النواب ليس من حقه تقرير الميزانية ، ولما حاول شريف باشا رئيس الوزراء تفادى هذه الأزمة لم ينجح ، وأصر مجلس النواب على تقرير الميزانية فاستقال شريف باشا وأصبحت السيطرة للحزب العسكرى بإسناد الوزارة إلى محمود سامى البارودى ، ودخلت الثورة مرحلتها الثانية .

ولكن كانت فى الجانب الآخر إنجلترا ترتب آخر الحلقات حتى تقع مصر فريسة لاحتلالها وتضمها للتاج البريطانى ، فبعد القبض على الضباط الشراكسة لاتهامهم بمحاولة قتل عرابى فى شهر أبريل عام ١٨٨٢ ومحاکمتهم أمام مجلس عسكرى وصدر الحكم بإدانتهم والحكم عليهم بأحكام مختلفة ، رأى الخديوى تخفيف الحكم والرجوع إلى الباب العالى - استغلت بريطانيا وفرنسا الموقف وأرسلت أسطولها إلى مصر بحجة

أن دعوة مجلس النواب بدون أمر الخديوى والمجاهرة بخلعه عن العرش تعتبران عمليتين ثوريتين تستوجبان التدخل ، وغلفت الدولتان عملها بأنهما يحميان الرعايا الأجانب ..

وبحضور الأساطيل تقدمت الدولتان بطلب استقالة الوزارة وإقصاء عرابي وتنحية بعض الضباط ، ولما رفضت الوزارة هذه المذكرة قبلها توفيق باستقالة وزارة البارودى فى ٢٦ مايو ١٨٨٢ م ..

وأرغم الخديوى توفيق على إعادة عرابي وزيراً للحرية فى ٢٧ مايو ١٨٨٢ وبقيت باقى الوزارات شاغرة ، وأصبحت البلاد بدون وزارة مسئولة ..

ولكن كل هذا لن يحقق آمال بريطانيا فى الاستيلاء على مصر ، لأن استقرار الأوضاع فى مصر لن يعطى لها المبررات الكافية بالاحتلال العسكرى لمصر ، فاستغلت مذبحه الإسكندرية فى ١١ يونيو عام ١٨٨٢ م أحسن استغلال ، بهذا أصبح الجو مُهيئاً للتدخل الأجنبى فالخديوى توفيق ألغى فى أيديهم وقد مال إلى جانبهم ، والأحوال غير مستقرة ، والبلاد بدون وزارة ، ولم يبق إلّا وجود الذريعة للاحتلال البريطانى لمصر ..

وفى ١١ يولية ١٨٨٢ بدأ الأسطول البريطانى بقيادة الأدميرال سمور ضرب الإسكندرية ، وكان السبب الواهى الذى اعتمد عليه الإنجليز فى

ضرب الإسكندرية هو أن المصريين يقومون بعمل ترميمات لأحد الحصون ، فكان هذا العمل السبب الذى من أجله ضُربت الإسكندرية وعادت من جديد قصة الذئب والحمل . .

وقاومت الإسكندرية قدر طاقتها ، ولكن بعد استبسال الجنود المصريين فى طواى الإسكندرية تمكن الإنجليز من النزول إلى الإسكندرية ، وفى هذه اللحظة الحرجة انضم الخديوى توفيق إلى جانب الأعداء تماماً ، وعزل عرابى من وزارة الحرية وأعلن ذلك بإصداره منشوراً علّق بشوارع الإسكندرية ، ولكن عرابى لم يمتثل للأمر وشكل المجلس العرفى الذى تكوّن من وكلاء الوزارات وكبار الضباط والوطنيين ، وانهقد اجتماع يضم قادة الأمة ورجالها ، وصدرت فتوى من هذا الاجتماع باعتبار الخديوى خارجاً عن الدين ، وعدم قبول عزل عرابى ، وبدأت البلاد فى الاستعداد ضد التدخل العسكرى البريطانى . . .

وعين عرابى اللواء محمود فهمى رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصرى ، وكان من أكفأ الضباط ، وتم وضع الخطة للدفاع عن البلاد ، وقسم اللواء محمود فهمى خطة الدفاع عن البلاد إلى ميدانين : الميدان الغربى ويشمل محور التقدم من الإسكندرية ، والميدان الشرقى ويشمل محور التقدم من اتجاه قناة السويس ، ولم يستطع الإنجليز التقدم

وإحراز أى نجاح فى الميدان الغربى ، وصمد الجيش المصرى ومن خلفه الشعب فى هذا الميدان ، واحتاج أحمد عرابى للمال ، ولكن المراقب المالى الإنجليزى جمع الأموال من الخزنة ووضعها تحت تصرف الإنجليز فى الإسكندرية بعد استيلائهم عليها ، وكانت معركة كفر الدوار من المعارك المشرفة للعسكرية المصرية . .

وتحولت أنظار الإنجليز إلى الميدان الشرقى ، وفى نفس الوقت توقع أحمد عرابى تحول اتجاه الإنجليز لهذا الميدان ، وكان من رأيه ردم قناة السويس ، وذلك بناء على رأى رئيس أركان حرب الجيش اللواء محمود فهمى ، ولكن ديلبس خدعه وطمأنه بأن الإنجليز لن ينتهكوا سيادة القناة ، ولهذا لم يضع عرابى ثقله من الناحية العسكرية فى هذا الميدان ، وأصاب الجيش المصرى ضربة قوية أثرت فى معنوياته ألا وهو أسر اللواء محمود فهمى ، وبينما عرابى يوالى استعداداته تلقى أكبر ضربة قاصمة له ، وكان لها مفعول قوى بين أفراد الجيش المصرى والشعب ، كان ذلك منشورَ العصيان الذى أصدره السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين والذى أعلن فيه قرار عصيان أحمد عرابى .

وفى هذا الوقت الذى كان يجب أن يتكاتف الجميع أطلَّ أعوان الخيانة بروعهم من أوكارهم وعلى رأس هؤلاء الخونة سلطان باشا ، الذى كان يرأس الحزب الوطنى قبل الغزو الاستعمارى لمصر ، ثم أصبح

بعد ذلك مركزاً للدسائس والخيانة ، وانحاز للخديوى والإنجليز ، وأخيراً أصبح نائباً للخديوى توفيق المرافق للحملة الإنجليزية ، ولقد استمال سلطان باشا باستخدامه شراء النفوس بالمال - بعض البدو الموالين لعرايى ، وعلى رأسهم الطحاوى ، وكانت الضربة الأخيرة لعرايى هى وصول الخيانة إلى العسكريين مما كان له عظيم الأثر فى هزيمة الجيش المصرى فى الميدان الشرقى ، وكان أشهرهم الأميرالاي على يوسف الشهير بخنفس ، والقائمقام عبد الرحمن حسن ، والأميرالاي أحمد عبد الغفار الذى أعماههم الذهب والحقد عن وطنهم الحبيب مصر .

وبدأت العمليات العسكرية فى الميدان الشرقى بعد أن انتهك الإنجليز قناة السويس واقتحموها ، وأنزلوا جنودهم فى السويس والإسماعيلية ، ودارت المعارك بين الإنجليز والجيش المصرى ، وكانت من أهم المعارك معركة القصاصين والتل الكبير ، ولكن عامل الخيانة كان العامل الرئيسى لهزيمة الجيش المصرى ، حيث إن خطة دفاعه قد سلمت إلى الإنجليز ، ولكن بالرغم من ذلك استبسل الجنود والضباط المصريون وكان على رأسهم الشهيد محمد عبيد ، والأبطال : الفريق راشد حنى ، واللواء على فهمى ، اللذان استمرا فى القتال حتى إصابتهم ، ولكن كما ذكرت كانت الخيانة السبب الرئيسى لهزيمة الجيش المصرى . .

وتحرك عرايى إلى القاهرة فى يوم حزين على الأمة المصرية ، ودخلت

القوات الإنجليزية ، وأتمت إنجلترا آخر الحلقات لضم مصر إلى التاج البريطاني ، وقد قام أحمد عرابي وزملاؤه بتسليم أنفسهم إلى القائد البريطاني الجنرال « لو » وتم القبض عليه وعلى بعض زملائه وقُدِّموا للمحاكمة ، وصدر الحكم بإعدامهم ، وخفض إلى النفي إلى جزيرة سيلان ، حيث بقى هناك تسع عشرة سنة بعيداً عن الوطن ، ولم يسلم الشعب أو مؤيدوا عرابي من السجن والتشريد والنفي ، وبهذا انتهت الثورة العرابية . .

بعد هذا السرد الموجز لحوادث الثورة العرابية فإنه يمكن تلخيص أسباب فشلها بوجه عام في الآتى :

- ١ - الخيانة لمصر والثورة العرابية سواء من سلطان باشا أو مجموعة العسكريين وعلى رأسهم الأميرالاي على يوسف الشهير بخنفس والبدو . .
- ٢ - انحياز الحديوى توفيق لجانب الإنجليز وخيائته لمصر واستقلالها .
- ٣ - منشور العصيان الذى أصدره الخليفة العثمانى بإعلان عصيان عرابي .

٤ - أسر اللواء محمود فهمى رئيس أركان حرب الجيش المصرى قبل بدء المعارك فى الميدان الشرقى .

٥ - عدم ردم قناة السويس واعتماد أحمد عرابي على كلمة ديلبس بأن الإنجليز لن ينتهكوا المرور من قناة السويس .

٦ - عدم التجهيز الجيد لمسرح العمليات في الميدان الشرقى ، كما تم في الميدان الغربى .

٧ - حرمان أحمد عرابى من الموارد المالية للبلاد ، وذلك لأن المراقب المالى الإنجليزى أرسل كل الموارد المالية إلى الخديوى فى الإسكندرية والمال عصب الحرب . .

بهذا تنتهى الثورة العرابية، هذه الثورة التى تعتبر إحدى المراحل المضىئة فى تاريخ مصر الحديث، وفى هذا الكتاب نقدم مذكرات الزعيم أحمد عرابى وهى بقلم أحمد عرابى نفسه ، وهذه المذكرات أقرب للسيرة الذاتية للزعيم أحمد عرابى من مذكراته عن حوادث الثورة ، فقد ذكر كيف نشأ وترى ، وانخراطه فى سلك الجندية ، وكيف وصل إلى صفوف الضباط ، ثم يتدرج فى الحديث عن المناصب التى تولاها فى خلال خدمته ، ثم تحدث عن الحوادث قبل الاحتلال البريطانى لمصر من جادة قصر النيل إلى مظاهرة عابدين ، ثم الظروف السياسية فى مصر قبل التدخل العسكرى البريطانى ، ولم يتعرض لحوادث الثورة العرابية والمعارك العسكرية التى تمت بين الجيش المصرى والجيش البريطانى ، ثم تكلم عن نفيه إلى جزيرة سيلان ، ومحاولته للعفو عنه ، والعودة إلى أرض الوطن بعد غربة طويلة عن أرض مصر - ويجب هنا أن نذكر أن فترة نفيه كانت طويلة لمدة تسعة عشر عاماً ، وأنها أثرت على معنويات

أحمد عرابي وأصبح شيخاً كبيراً يود أن يرجع إلى وطنه الذي خدمه
وأخلص له ، كما أن هذه المذكرات كتبت بعد عودته من المنفى في ظل
حكم أسرة محمد علي . . .

عميد أ.ح / محمد فريد السيد حجاج

المذكرات

نشأتى الأولى

ولدت فى ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ من أبوين شريفين من ذرية العارف بالله السيد صالح البلاسى البطائى ، ومقامه الشريف بقرية فاقوس بمديرية الشرقية ، وهو أول من قدم إلى بلاد مصر من بلاد البطائح بالعراق فى أواسط القرن السابع للهجرة ، وهو من ذرية الإمام على الرضا بن الإمام موسى الكاظم من سلالة الإمام الحسين بن على بن أبى طالب وابن فاطمة الزهراء البتول بنت محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . اسم والدى محمد عرابى بن السيد محمد وفى بن السيد محمد غنيم بن السيد إبراهيم بن السيد عبد الله إلى آخر السلسلة الشريفة ، واسم والدى فاطمة بنت السيد سليمان بن السيد زيد تجتمع مع والدى فى جدى الثالث عشر المسمى إبراهيم مقلد رحمه الله تعالى . ومولدى كان بقرية هرية رزنة بمديرية الشرقية على ميلين من شرقى بندر الزقازيق ، وهى بلدة قديمة جداً من ضواحيها مدينة بوابسة كرسى مملكة العائلة ٢٢ فى زمن شيشاق بن نمرود التى يقال لها الآن (تل بسطة) وعشيرتى فيها نحو ربع تعدادها ، وكان والدى رحمه الله تعالى شيخاً عليها إلى أن

توفى فى شهر شعبان سنة ١٢٦٥ هـ فى زمن الهواء الأصفر عن ثلاث نسوة وأربعة أولاد وست بنات ، وكنت ثانى أولاده الذكور وسنى ٨ سنوات ، وترك لنا ٧٤ فدأنا ، ولو شاء لاستكثر من الأطيان الزراعية ، ولكنه رحمه الله تعالى يراعى صالح أبناء عمومته حيث أن أطيان القرية كغيرها ، فكانت مكلفة بأسماء المشايخ يوزعونها بمعرفتهم على أهل بلادهم بحسب الاحتياج إلى عهد المغفور له عباس باشا الأول ، وهو أول من كلف الأطيان بأسماء الأفراد وألزمهم بدفع خراجها ، ومازاد عنهم يترك للميرى ويسمونه المتروك .

وكان والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان عالماً فاضلاً تقياً أقام بالجامع الأزهر ٢٠ سنة ، تلقى فيها الفقه والحديث والتفسير وبرع فى كثير من العلوم العقلية والعقلية على كثير من المشايخ كشيخ الإسلام القويسنى رحمه الله تعالى وغيره من العلماء الأطهار .

ولما آلت إليه وظيفة الشياخة على عشيرته جدد عمارة المسجد المنسوب إلى عشيرته بالقرية المذكورة ، وفيه أربعة أعمدة من الحجر الصوان القديم ومنبر من الخشب عجيب الصنعة ، وأنشأ بجوار المسجد مكتباً لتعليم القرآن الشريف وجعل له فقيهاً صالحاً عالماً يسمى الشيخ نجم من سلالة السيد العزازى ، وألزم الأهالى بتعليم أولادهم . وكان رحمه الله

يشدد عليهم في ذلك حتى صار نحو نصف تعداد الناحية المذكورة يحسنون القراءة والكتابة وكل منهم يعرف واجباته الدينية ، ومنهم نحو مائة وخمسين فقيهاً عالماً ، ومنهم المرحوم الشيخ محمد حسين الهراوى من علماء الجامع الأزهر ، والشيخ العارف بالله إبراهيم المصليحي نفع الله به المسلمين ، فلما بلغ سنى ٤ سنوات أرسلنى والدى إلى المكتب المذكور . فأقمت فيه ثلاثة أعوام ختمت فيها القرآن وعمرى إذ ذاك ثمانى سنين وبضعة شهور ، فلما توفى والدى كفلنى أخى الأكبر المرحوم السيد محمد عرابى الذى توفى فى ٢٥ شعبان سنة ١٣١٨ رحمه الله تعالى ، وأخذت عنه مبادئ علم الحساب وتحسين الخط مع ملاحظة بعض أشغال الزراعة ثم بدالى المجاورة بالأزهر حين بلغت اثنى عشر عاماً فكنت أجود القرآن على أقاربى نهائراً وأتوجه إلى بيت عمى ليلاً ، وتلقيت شيئاً قليلاً من الفقه والنحو ، وبعد سنتين رجعت إلى بلدى .

سعيد باشا :

وكان المرحوم سعيد باشا عليه سحائب الرحمة والرضوان. قد تولى الحكومة الخديوية ١٥ شوال سنة ١٢٧٠ ، وأمر بدخول أولاد مشايخ البلاد وأقاربهم فى العسكرية فدخلت من ضمنهم ، وانتظمت فى سلك الأورطة السعيدية المصرية بقناطر فم البحر فى شهر ربيع أول عام

١٢٧١ ، وجعلت فيها وكيل بلوك أمين ، من أول يوم صار انتظامى فى سلك العسكرية بعد امتحانى بحضور إبراهيم بك أمير الآلاى وحسن أفندى الألقى حكيم الآلاى ، ثم ترقيت إلى رتبة بلوك أمين فى شهر رجب من السنة المذكورة بعد إعادة الامتحان إلى الطالبين ولذلك من غير واسطة أحد غير الجد والاجتهاد .

وبعد عام نظرت فرأيت بعض الباشجاوشية المصريين ترقى إلى رتبة الملازم الثانى ، وعلمت أن البلوك أمين لا يترقى إلّا إلى رتبة الصول قول أغاسى وفيها يفنى عمره . فعجزت من ذلك وذهبت إلى أمير الآلاى وطلبت منه ترتيبى فى رتبة جاويش فى أورطة كانت أفرزت لإرسالها إلى مدينة المنصورة فسألنى الميرالاي المذكور عن سبب ذلك حيث أن راتب الجاويش أقل ١٠ غروش من راتب البلوك أمين ، وإن كانت الرتبتان متساويتين ، فأفصحت له عما خالج فكرى وإنى إذا صرت جاويشاً سهل على الحصول على رتبة الباشجاويش ثم الانتقال إلى رتبة ضابط . فعجب لذلك الخاطر وأمر فى الحال يجعلى جاويشاً فكنت فى هذه الرتبة ستين ، وفى تلك المدة حبيب إلى الاعتزال عن الناس والاشتغال بدراسة القوانين العسكرية مع التدبر فى معانيها حتى أتقنت قانون الداخلية وقوانين تعليم النفر والبلوك والأورطة ، وبعض فصول من تعليم الآلاى . وفى أوائل عام ١٢٧٤ أمر سعادة راتب باشا بجمع الصف ضباط

فاجتمعنا حوله فى فسحة قصر النيل بقيادة المرحوم سعيد باشا وقال :
 إن أفندينا بلغه أنكم تقولون فى ما بينكم كيف يصير ترقى الصف
 ضباط الجدد وتأخير من هو أقدم منهم فى الرتب ، وأنه أمر أن لا يترقى
 أحد بعد الآن إلا بعد الامتحان علماً وعملاً ، فمن فاق أقرانه فى
 الامتحان ترقى إلى الرتبة التى يستحقها ولو لم يلبث فى رتبته الأولى غير
 شهر واحد ، فمن أراد منكم الامتحان فليقدم إلى الأمام .
 فعند ذلك تقدمت أمام سعادته وأحجم الآخرون خوفاً وهلعاً ظناً
 منهم أنه يريد معاقبة من يتظاهر بذلك . .

ولما كرر عليهم الطلب خرج آخر وآخر حتى بلغ عدد الراغبين فى
 الامتحان نحو ٣٠ شخصاً ، فصار امتحانهم بحضوره تحت رئاسة المرحوم
 إسماعيل باشا الفريق فكنت أول فائز فى الامتحان .

ثم صار جمع الضباط والصف ضباط بمعرفة سعادة راتب باشا
 الذى كان وقتئذ أميرآلى وصار طلبى أمام الجميع ووضع فى صدرى
 نيشان الباشجاويش وأعلن ترقيتى إلى هذه الرتبة .

١ وبعد عام ، أى فى أول عام ١٢٧٥ ، صار امتحان الباشجاويشية
 بحضور سعادة راتب باشا أيضاً والمرحوم إسماعيل باشا الفريق فكنت
 الفائز الأول وترقيت إلى رتبة الملازم ثانى التى كنت أدأب فى الحصول
 عليها منذ البدء .

ثم بعد سبعة أشهر صار امتحان الضباط في القصر العالى فكنت أول فائز فيه ، وكُتِبَ اسمي في أول الامتحان ، ولما عرض الجدول على ساكن الجنان سعيد باشا أمر بإعادة امتحاني وانتدب لذلك المرحوم سليمان باشا الفرنساوى رئيس رجال العسكرية .

فطلبت ثانياً إلى الامتحان وكان يوماً مشهوداً ، وبعد الامتحان التمس سليمان باشا المشار إليه خروج الخديوى المرحوم إلى ميدان الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وهناك يصير امتحاني في الميدان بأورطة من العساكر بحضرته الخديوية .

فسأله الخديوى عما يقصده بذلك فقال إنه مستحق لرتبة الميرالاي لأن الذين ترقوا الى هذه الرتبة من المدارس الحربية لم يقرروا في أجوبتهم مثله .

فقال الخديوى رحمه الله تعالى : لا يمكن ذلك . فقال له يحسن إليه على الأقل برتبة بكباشى فأبى عليه ذلك وقال يلزم أن يتدرج في كل رتبة ليعرف واجباتها وأحسن إلى برتبة ملازم أول ، وأمر باعتبار جدول هذا الامتحان وأن يكون الترقى على مقتضاه بدون تجديد امتحان لمدة مجهولة . وقبل مضى شهرين أحسن على برتبة يوزباشى والتحققت بمعينه .

وفى أوائل سنة ١٢٧٦ ترقيت إلى رتبة صاغقول أغاسى فى بنى
سوف ، وبعد العودة إلى مصر صان ختان المرحوم الطيب الذكر طوسن
باشا النجل الوحيد للمرحوم سعيد باشا فأولم المرحوم الخديوى ولحمة شاتقة
دعى إليها جميع أعضاء العائلة الخديوية فى قبة عظيمة حضرها جميع
الضباط والذوات ، وغيرهم من الأجانب ، وبعد الطعام انتصب
الخديوى رحمه الله تعالى قائماً وقال خطبة ارنجالية ذكر فيها « إن من
أمعن النظر فى تاريخ بلادنا هذه وتوالى حوادثها المحزنة لا يسعه غير
الأسف والتعجب كيف توالى الأمم الأجنبية على أهلها وهم يظلمون
سكانها كالكلدانين والفرس قبل الإسلام والترك والأكراد والشركس
وغيرهم بعد الإسلام وكلهم يفسدون ولا يصلحون وإنى عزمت على
تثقيف أبناء البلاد وتهذيبهم وترقيتهم حتى تكون حكومة البلاد بأيديهم
بصفة كونى مصرياً منهم وبالله الاستعانة » .

فوقع هذا الخطاب على من حضر من غير المصريين وقوع الصواعق
وتهلل وجوه المصريين وشكروا ودعوا وانقضت الحفلة .

ثم فى آخر سنة ١٢٧٦ ترقيت إلى رتبة بكباشى ، وفى أوائل عام
١٢٧٧ أحسن إلى برتبة القائمقام الرفيعة كما أحسن بها على السيد محمد
باشا النادى ، وعلى المرحوم راشد باشا راقب ، الذى استشهد بحرب
الحبشة فى عام ١٢٩٣ ، وعلى المرحوم سليم باشا رفيق الذى صار ناظرًا

للجهادية قبل الثورة الوطنية . فكنا أربعة قائمقامات ، اثنين مصريين واثنين شركسيين وكل منا استلم قيادة ألى زيادة .

وفى السنة المذكورة سافرت بجمية المرحوم سعيد باشا إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام برتبة القائمقام .

وفى عام ١٢٧٨ رأى سعيد باشا أن الحكومة سقطت فى دين يبلغ مقداره ٦ ملايين جنيه مصرى ، وذلك يساوى إيراد الحكومة فى ذلك الوقت سنة كاملة تقريباً . وكان ذلك المبلغ ثمن أسلحة ومهمات حربية وملبوسات وذخائر عسكرية موصى عليها فى معامل أوروبا وردت بعد وفاته رحمه الله تعالى . فأمر برفق جميع الآليات وأبقى أشرطة واحدة كان فيها يوزباشى سعادة مصطفى فهمى باشا رئيس النظار الآن ، وعلى فهمى باشا الذى بنى معنا إلى سيلان . وأمر باستيداع الضباط بالمحافظات والمديريات على حسب رغبتهم ومن له بلد يتوجه إلى بلده ويصرف لهم نصف مرتباتهم فى استياداعهم وأمر أن تضاف مرتباتهم على الأطيان مؤقتاً ريثما يتم تسديد الدين . فخص الفدان الواحد ٥٠ فضة أى غرش واحد وربع ، وقد حصل ذلك فعلاً ، ثم صار بيع الخيول ومأكولات العساكر ومفروشاتها وكانت من البوسطى وغيرها وكذا الفضيات الموجودة فى خزائن الأمتعة والمسافر خانات ، وكذا الفوريقات الموجودة فى جميع القطر المصرى ، والأطيان المتروكة فى كل المديريات ،

كل ذلك رجاء تسديد الدين .

وفي أوائل عام ١٢٧٩ سافر المرحوم سعيد باشا إلى أوروبا لمعالجة نفسه من داء السرطان ، وكان بمعيته المرحوم محمد على باشا الحكيم المصرى الذى استشهد فى حرب الحبشة عام ١٢٩٣ فصدر أمره الكريم إلى قائمقام خديوى فخامة إسماعيل باشا الخديوى الأسبق بطلب جميع الضباط المصريين من بلادهم وإقامتهم فى قصر النيل ومداومتهم على التدريس فى القوانين العسكرية يقول فيه :

« إن الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم ، ولو تركناهم على هذا الحال الذى لا يؤول عليهم منه إلا الويال لفقدوا العافية والنظر ، وصاروا عبء لمن يعتبر . »
« وما أننا نحن الذين ربيناهم ورقيناهم وأظهرناهم فلا يصح لنا تركهم فى هذا الحال الذى ذكرناه ، فقد اقتضت إرادتنا جمعهم من بلادهم ، وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر إليهن بالعين .
والتشديد عليهم بمداومة التدريس ليلا ونهاراً فى قصر النيل . »

وبناء على هذه الإرادة صار اجتماعنا فى قصر النيل .

وفي ربيع الأول انتدبت لفرز الصف ضباط فى الوجه القبلى وتعين معى حكيماً للفرز المرحوم سالم باشا سالم الحكيم ، وكان برتبة قائمقام أيضاً .

وفى ٢٧ رجب من تلك السنة توفى المرحوم سعيد باشا ودُفِنَ في الإسكندرية بالمدفن المجاور لمسجد النبي دانيال عليه السلام بعد عودته من أوروبا ، وجلس على الأريكة الخديوية ابن أخيه إسماعيل باشا الخديو الأسبق ، وصار ترتيب الآليات ، فكان ترتيبى قائمقام ٦ جى آلاى بيادة . وأما مساعدة نادى باشا فتعين على آلاى جميع ضباطه من المصريين المترقين فى زمن سعيد باشا وأرسل إلى السودان .

وحاصل الأمر أنى دخلت العسكرية نقرأ بسيطاً فى أوائل سنة ١٢٧١ وبلغت رتبة القائمقام فى أواخر عام ١٢٧٧ يجدى واجتهادى وسهر الليل والنهار على حد قول القائل : « ومن طلب العلا سهر الليالى » . ونجح كثير من تلامذتى نجاحاً تاماً حتى كانوا فى مقدمة الضباط فى الامتحانات العمومية .

وكان السبب فى هذا الاجتهاد الغريب الذى فاقوا به المتخرجين من المدارس الحربية ، وكان أغلبهم أميين ، رغبة سعيد باشا فى تقدم أبناء الوطن ومساواتهم لغيرهم كما ذكر ، ومحبتة لهم ، وانعطافه إليهم ، ومعاملتة للجميع بالعدل والمساواة مع تفقد أحوالهم ومراعاة سيرهم وحسن سلوكهم كأنهم أولاده ، وكفى بالأمر الصادر منه وهو فى بلاد أوروبا فى حقهم المذكور أنفاً برهاناً صادقاً على حسن معاملتهم للوطنيين كأنه كان وصية منه عليهم لمن يخلفه . وهذا هو الذى أوغر علينا صدور

إخواننا من الترك والشركس وغيرهم .

ولقد قال لى مرة رحمه الله تعالى وأنا برتبة قائم : إن جميع الناس عادونى ، حتى أهلى رجالا ونساءً يسبب مساواتكم بغيركم فحققوا أملى فيكم ، فأجبتة : « ولكن الله سبحانه وتعالى يرضى عنك والأمة المصرية ترضى عنك لمراعاتك للحق والإنصاف » هذا ويسبب عدله وقناعته أثرت البلاد فى زمنه وأخصبت الأرض ، وانتعشت الأمة حتى صار الرجل المزارع الذى يعمل بيده يحصل له فوق عشرين جنيهاً فى السنة ، وهذا ما حفظ مصر من الإفلاس فى مدة خلفه الذى بلغ دين الحكومة فى زمنه مائة ألف ألف وألف ألف جنيه كما هو مدون فى بطون الدفاتر .

نشأته الثانية

ولما تولى الخديوية المرحوم إسماعيل باشا وأمر بإنشاء ٦ آليات
بيادة ، كنت « قائماً » في الآلى السادس ، وكان المرحوم خسرو باشا
أميرالايًا على الآلى الثانى ثم ترقى إلى رتبة لواء باشا ، وكان رحمه الله
متعصباً لأبناء جنسه تعصباً أعمى وترتب قومنداناً على الآلى ٦ و ٥ ولما
وجدنى وطنياً قحاً عظم عليه وجودى فى الآلى ، وسعى فى رفقى من
الآلى لأجل إخلاء محلى لترقية أحد أبناء المالك مصطفى أفندى سليم بن
سليم بك المشهور بالحجازى .

ولأجل هذه الغاية صار يترقب الفرص للإيقاع بى إلى أن صدر أمر
الجهادية بامتحان الضباط لأجل استكمال النقصان ، وبعد أن صار
الامتحان ، وتحررت العرائض للمستحقين وختم عليها من أرباب
الامتحان ، وكنت من ضمن أعضاء مجلس الامتحان تحت رئاسة الباشا
المذكور ، أرسل لى عريضة أحد الملائمين اسمه سيد أحمد أفندى وطلب
أخذ ختمى من عريضته والتم على عريضة ضابط آخر من أورطة
مصطفى أفندى سليم البكباشى ؛ لكونه دائماً يباشر خدمة منزل البكباشى

المذكور . فشق على هذا الأمر وتوجهت إلى مركز اللواء باشا وأخبرته بأن يعفني من الختم على عريضة من لا يستحق فقال لا بد من الختم لأجل خاطر البكباشي المذكور . فقلت إن هذا ظلم لا أفعله ، وإذا كنت تراعي خاطر البكباشي في الظلم فأولى لك أن تراعي رئيسه في العدل . وذكرته بعاقبة هذا الأمر إذا تشكى المظلوم إلى ديوان الجهادية وطلب امتحانه مع الآخر كما حصل مثل ذلك في زمن المرحوم سعيد باشا ، وصار عزل جميع أعضاء مجلس الامتحان مع رئيسهم بسبب ظلم نفر مستحق رتبة أونباشي وهي أدنى رتب الصف ضباط .

ثم ذكرته بعاقبة الظلم غداً بين يدي العزيز الجبار .

فحقن لذلك حقاً شديداً وذهب إلى ناظر الجهادية المرحوم إسماعيل باشا سليم ، وأخبره أنني لا أطيع له أمراً ولا أعياً بأوامر ديوان الجهادية . وناظر الجهادية عرض للخدوي الأسبق بذلك ثم صدر الأمر برفقي من الجهادية بالقول إني قوى الرأس شرس الأخلاق (وما بي والله من شراسة ، ولكن جعلني الله سبحانه على حب العدل والإنصاف وكره الظلم والاعتساف) فترتب على ذلك رفقي من الخدمة وحرمانى من الماتني « فدان » التي صدر أمر الخديوى بالإحسان بها على كل من القاء مقامات الجهادية عقب مناورة عسكرية حضرها الخديوى ، وكنت من ضمن من حضرها ، وكان إصدار إرادة سنوية للمديريات بوجه يجرى بتسليم تلك

الأطيان إلى المنعم بها عليهم .

فصدرت إرادة سنية ثانية بتوقيف التسليم فيما يخصنى وقد حصل ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون فانتقم بعدله ممن ظلم من غير إهمال وذلك أنه صدر أمر الخديوى فى الأسبوع الذى رفت به إلغاء الألاى ٥ و ٦ أى اللواء الثالث ، وأرسل خسرو باشا إلى السودان وأصيب حسين باشا الطوبجى بالقالج ، ومحمد بك أمين القبرصلى بالقالج أيضًا حتى ماتا ، وأمين بك رئيس لما ألم بديوان الجهادية انتحر بعد تكييله فى الحديد وإرساله إلى السودان ، وهكذا كل من اشترك فى هذه المظلمة أصيب بقارعة عظيمة .

وأما مصطفى سليم المذكور فقد رفت أيضًا وأقام فى بيته مرفوتًا نحو عشر سنين حتى أذله الله . وأما إسماعيل باشا ناظر الجهادية فإنه مات فى حرب كريد ، ولكن ليس شهيدًا ، بل مات بسبب أكلة من فريك القمح فانهقدت أمعاؤه وقضى نحبه ، وجيء بجثته إلى مصر ودفن فيها سامحه الله تعالى .

وفى شهر ربيع أول عام ١٢٨٣ عرضت للخديوى بواقعة الحال والتست إنصافه فصدر أمره فى ١٦ رمضان عام ١٢٨٣ نمرة ١٦ عرض وهالك صورته :

« ديوان جهادية ناظرى سعادتلو باشا حضر تلى . ٦ جى بيادة

سابق قائمقام أحمد عرابي بكك أشبو عرضحال منظورم أولدى خطاسنى عفوا يتمش اولد يغمندن حاله مناسب خدمة ظهورنده استخدام ابتدير لمسى حقنده ايجابتى اجراء ايلمكر ايجون اشبو أمرم أصدر قلندى .
وحيث إن ناظر الجهادية المذكور كان مساعداً لخسرو باشا كرهت الخدمة فى العسكرية وطلبت إحالتى على ديوان المالية .

وفى التاريخ المذكور صار تعيينى محافظاً على بحر موسى وجزء من البحر الأعظم بمديرية الشرقية زمن فيضان النيل ، بمعرفة المرحوم إسماعيل باشا صديق .

وبعد انقضاء زمن النيل من غير أن يحدث أدنى ضرر فى مديرية الشرقية كما حصل من الغرق بقطع نادر وقطع بطرة وغيرهما ترتبت مأموراً لتشهيل بناء قناطر فم الإسماعيلية بقصر النيل وتشهيل قطع الأحجار فى معامل طرة والدقيقة بالعباسية والجليل الأحمر بالبساتين ، وشحنها بالمراكب إلى القناطر المذكورة . وإلى سد فم الرياح فى شبرا ، وإلى القناطر الخيرية ، وإلى جميع مديريات الوجه البحرى ، وتشهيل مراكب النقل وتفريغها بقناطر الإسماعيلية وسد الرياح فى شبرا ، وكان عملاً شاقاً جداً من غير مراعاة الحكومة لأسباب التشهيل . فكنت أنتقل فى كل يوم إلى المحلات المذكورة على ظهر فرسى أو حمارى حتى جاءت سنة ١٢٨٥ فانتدبت لتشهيل بناء كبرى قشيشة العظيم بمديرية بنى سويف

وكبرى الرقة بمديرية الجزيرة وكبرى أبوراضى على سكة حديد الفيوم ، وبعد تمام تلك الأشغال كوفئ غيرى بخمسة آلاف جنيه مصرى . . ثم أحيل على عهدى تمديد سكة حديد المنيا إلى محطة ملوى ، وبعد نهوها تصادف جعل المرحوم قاسم فتحى ناظر الجهادية ، وكان يعرف قدر أعالى واقتدارى فطلبنى وكلفنى الانتظام فى سلك العسكرية ثانية . فأجبتة إلى ذلك وترتبت قائمقاماً فى ٣ جى ألى ييادة فى أوائل سنة ١٢٨٧ ، وفى سنة ١٢٨٨ انتقلت إلى رئاسة ٢ جى ألى ييادة. ولكن برتبة القائمقام ، وفى أواخر سنة ١٢٩٠ توجهت بالآلى المذكور براً إلى رشيد للإقامة فيها ، وفى ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٢ انتدبت إلى ترتيب عساكر محافظين للقلاع الحجازية من أهالى تلك البلاد وإرسال العساكر النظامية المصرية إلى مصر فتوجهت إليها وحيداً فريداً على مصاريف نفسى فى أول يوم من شهر رمضان حتى وصلت إلى قلعة نخل ، وترتبت لها العساكر اللازمة للمحافظة عليها ، وجعلت فيها مكتباً لتعليم أبنائهم القراءة والكتابة ، ثم ذهبت إلى قلاع العقبة والمويلح والوجه وأجريت فيها كما أجريت فى قلعة نخل ، وأرسلت العساكر النظامية إلى مصر ، ثم عدت قافلاً بجزراً إلى بندر القصير ، ثم براً إلى قنا ، وجزراً إلى أسبوط ، وبراً إلى مصر .

ولما عرضت انتهاء مهمتى على ناظر الجهادية فخامة صاحب الدولة

حسين باشا كامل قال لى إنى لاعتمادى عليك ووثوقى بك قد عيتتك مأموراً للحملة الحبشية فاستعد لذلك بعد عشرة أيام فانتخبت من أعتمد عليهم من الضباط والكتبة ، وسافرنا جميعاً إلى مصوع ، وبعد انتهاء تلك الحرب المشؤومة عدت إلى مصر ، فأمرنى دولة المشار إليه أن أعود إلى السويس لتشهيل المحضرين من مصوع وزيلع ، وإرسال الذخائر اللازمة لتلك الجهات بدل المرحوم على غالب باشا ، حيث إنه تعين مديراً لمديرية الدقهلية ، فذهبت إليها .

وبعد انتهاء تلك المأمورية أيضاً عدت إلى الآلاى الذى بعهدنى برشيد ، وفى أوائل سنة ١٢٩٦ صدر لنا الأمر بحضور الآلايات الموجودة برشيد إلى مدينة القاهرة ، وتسليم الأسلحة والمهمات ، وإرسال العساكر إلى بلادهم فحضرنا ، وكنا ثلاثة العساكر آلايات ، وسلمنا المهمات فى يوم وصولنا ، وفى اليوم الثانى صباحاً ذهبنا إلى منزل سعادة محمد نادى باشا وكان أمير آلاى أحد الآلايات المحضرة من رشيد حين ذاك فما نشعر إلا وأحد الضباط اسمه أحمد أفندى نجم ، حضر وأخبرنا أن تلامذة الحرية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية فجاءت العساكر من ١ جى آلاى وضربت عليهم بالسلاح ، فاندھشنا لهذا الخبر المريع ، وأرسلنا غيره من الضباط ليستكشف الأمر ويأتينا بالحقيقة ، فذهب وعاد وأخبرنا بما صار ، وبعد يومين صار طلبى ، وطلب نادى باشا بطلب سر تشريفاتى

خديو ، سعادة عبد القادر باشا حلمي ، فذهبنا إليه في بيته فأخبرنا أن الخديو بلغه أنكماو على بك الروي قد أغريتم التلامذة والضباط على حصر المالية ، وأنه سيجرى تحقيق ذلك ، فإن ثبت هذا عليكم صار مجازاتكم بأشد الجزاء .

وصار يهدنا تارة ويعدنا بالسلامة تارة أخرى ، فأجبناه بقولنا « ياسبحان الله ، إننا حضرنا أمس من رشيد وكنا مشغولين بتسليم الأسلحة والمهمات بمخازن العسكرية ، وصرف العساكر إلى بلادهم ، فكيف يتصور أننا نغرى تلامذة الحرية والضباط ونحن لسنا موجودين بالقاهرة ولا كان أحد من ضباط عساكرنا موجوداً في هذه الحركة أصلاً ، على أن هذا العمل الخارج عن حد التعقل يلزم تدبيره وترتيبه قبل إجراءاته بمده . » فضحك « لأنه يعلم أن تلك الحركة كانت بإيعاز مقام عال وعمل جاهين باشا جنج لأجل التخلص من نظارة ويلسن المختلطة ، وأيضاً صار طلب المرحوم على بك الروي بطرف مأمور الضبطية محمود سامي باشا البارودى وبلغه تلك التهديدات بعينها والافتراءات الظاهرة فتنصل منها .

وبعد ذلك صار تشكيل مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة رئيس أركان الحرب أسطون باشا الأمريكى ، وعضوية سعادة أفلاطون باشا ، والمرحوم مرعشلى باشا ، وجميعهم يعرفون الحقيقة كما يعرفون

آباءهم ولكن المسألة خرجت عن مركزها المعين .
ثم بعد ذلك صار طلب الضباط والمتهمين من رتبة بكباشى فما فوقها
بسرائى عابدين ، وقام الخديوى يطيب خواطرنا ويوعدنا بخير
ولكن :

أمور يضحك السفهاء منها وييكى من عواقبها اللبيب
هكذا قلت لسعادة محمد باشا النادى ، والمرحوم على باشا الروبى
المتهمين معى فى مسألة الإحاطة بديوان المالية .
وفى ذلك الاجتماع صار جعلنا نحن الثلاثة من ضمن الياوران الذين
بمعيته .

- عجباً وألف عجب - ولكن بعد أسبوع انخلع على الروبى من
العسكرية وتعين رئيساً لمجلس المنصورة وأبعد نادى باشا بالايه الجديد إلى
الإسكندرية ، ثم صار طلبى إلى ديوان المالية فذهبت إلى ناظرها المرحوم
راغب باشا فأخبرنى أن أهالى جرجا وأسيوط ومديريات الوجه القبلى قد
انتخبونى أميناً من طرفهم فى تسليم ٧٠٠ ألف أردب قمح شعير وفول إلى
بنك قطاوى ويحة وأجيون بالإسكندرية ، لسداد ما عليهم من الديون -
والله يعلم أن الأمر غير ذلك ، وأنا أعلم أيضاً . . ومع ذلك توجهت إلى
الإسكندرية وأديت تلك المأمورية التى حقيقها سلفة نصف مليون بتو

أخذتها الحكومة لتسديد بعض الأقساط من أرباح الدين المصرى . .
 وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ صار خلع المرحوم إسماعيل باشا وتولية
 المرحوم توفيق باشا ، وشاهدت الاحتفال بتوديع الخديوى المخلوع حين
 إنزاله فى السفينة من أسكلة سكة الحديد منفياً إلى بلاد إيطاليا ، كما أنزل
 عمه حليم باشا إلى بلاد القسطنطينية . .

* * *

وعلى هذا انتهت مدة ولاية إسماعيل باشا كما علمت ، ولم أنل منه
 رتبة ولا نيشاناً ولا اختصنى بجارية من جواريه ، وما أصبت منه خيراً
 قط ولا أقسمت على الدفاع عنه ولا خدمت بمعيته أصلاً ، ولا انتهزنى
 أبداً ، ولا صحت حول سرايه ، ولا قال غنى إن صوتى أكثر قعقة
 أو قعقة من الطبل ، وأقل نفعاً منه .

وقد تحملت مدة ولايته بكل صبر وثبات جأش ومكثت برتبة
 القائم مقام ١٩ سنة وأنا أنظر إلى اليوزباشية والملازمين الذين تحت إدارتى ،
 وقد صار بعضهم أمير آلاى ، وبعضهم أمير لواء ، وبعضهم أمير
 الأمراء ، أعنى باشوات وفرقاء ، وانهمرت عليهم سحب الإنعامات
 والإحسانات فاقتطعوا الإقطاعات الواسعة ، وأخذوا القصور العالية ،
 وأغدقت عليهم الخيرات وهم يعلمون قوتى واستعدادى .

ولقد اجتهد صاحب الدولة حسين كامل باشا عم الحضرة الفخيمة

الحديوية إذ ذاك في ترقيتي إلى رتبة أمير آلاى ، ولكن لم يقبل منه ،
 أخيراً قال لى : « إني بذلت ما فى وسعى فى طلب ترقيتك ولكن قيل لى
 إنك من رجال سعيد باشا » فعجبت لذلك وقلت له إني من رجال
 الوطن ، وبلدتى اسمها هرية رزنة بمديرية الشرقية ولست مملوكاً لأحد .
 فطيب خاطرى ولا طفنى وقال لى : « لا تفتر همتك وسأواصل
 السعى فى إنصافك » فشكرت له وخرجت وأنا أشعر بأنى لا أنال خيراً فى
 مدة أبيه وكنت أتوسم كل خير فى المرحوم توفيق باشا ، ولكن من اعتمد
 على غير الله سبحانه وتعالى أخلاه منه ، لأنه سبحانه غيور على عباده
 المؤمنين .

خاتمة أمرى

ولما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية وحضر إلى الإسكندرية أحسن علىَّ يرتبة أمير آلاى على الآلاى الرابع فتوجهت إلى رأس التين وقدمت تشكراتى وامتنانى إلى حضرته الكريمة ، ودعوت له بخير ، ثم جعلت من ضمن ياوران الخديوى ولما صار المرحوم عثمان رفقى باشا الشركسى ناظرًا للجهادية فى وزارة مصطفى رياض باشا واستبدوا بالإدارة ، لايسأل كل من النظر عما يفعل فى إدارته واستخفوا بأمر الخديوى كل الاستخفاف - وخصوصًا عثمان رفقى لجهله وعجبه - خيلت له نفسه أن يمنع ترقية المصريين من العسكر العامل فى الآلايات ، والاكتفاء بما يستخرج من المدارس الحربية ، وصدرت أوامره بذلك . ثم أردفها بإحالة عبد العال حلمى بك أمير آلاى على ديوان الجهادية ليكون معاونًا ، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة ليس إلا ، وزتب بدله خورشيد نعان بك من جنسه على الآلاى المذكور ، وكان سنه فوق الستين ، وهو ضعيف لا يقدر على الحركة العسكرية ، وبرت أحمد بك عبد الغفار قائم مقام السوارى وترتيب شاكر بك طمازه من جنسه بدله ،

وهو طاعن في السن ، ثم ختمت تلك الأوامر وصار قيدها بدفاتر الجهادية .

وكنيت لأعلم بشيء من ذلك أصلاً ، وإنما دعيت إلى وليمة وسماع تلاوة القرآن الشريف بمنزل المرحوم نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج الشريف ، وكان ذلك ليلة ٤ صفر سنة ١٢٩٨ ، ولما وصلت إلى منزل الداعي وجدته غاصاً بالدوات العسكرية وغيرهم ، فجلست بجوار المرحوم نجيب بك وهو رجل كردى الأصل ، وبجانبه المرحوم إسماعيل كامل باشا الفريق ، وهو شركسى الأصل ، ولكنه يتظاهر بحب العدل والإنصاف ، فأخبره نجيب بك بما صار ، وأنه نصح ناظر الجهادية بالإعراض عن هذا الإجحاف فلم يصغ لقوله ، ولهذا فهو ساخط ومضطرب .

ثم أوعز إليه أن يخبرني بما سمع منه ، فأخبرني نجيب بك بحقيقة الحال همساً في أذني ، فقلت لإسماعيل باشا كامل :

« أحق هذا ؟ » فقال « نعم وأعطيت الأوامر إلى الكتبة للإجراء على مقتضاها » ، وبعد تناول طعام المأدبة حضر إليّ أحد الضباط وأخبرني بأن كثيراً من الضباط ينتظرونني بمنزلي وفيهم عبد العال بك حلمي وعلى بك فهمي .

فأسرعت وهم في هياج عظيم وقد بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية

قبل إرسالها إليهم ، فلما رأوني أخبروني بما سمعته من المرحوم إسماعيل باشا كامل ، فقلت لهم « قد سمعت من غيركم فماذا تريدون » فقالوا « إنه ليس ذلك فقط بل إنه قد كثر اجتماع الشراكسة بمنزل خسرو باشا الفريق صغيراً وكبيراً وهم يتذاكرون في تاريخ دولة الممالك في كل ليلة بحضور رفيق باشا ، ويلعنون حزبك ويقولون قد حان الوقت لرد بضاعتنا ، وإنهم لا يغلبون من قلة وظنوا أنهم قادرون على استخلاص مصر وامتلاكها كما فعل أولئك الممالك » : وقد تحققوا ذلك ممن يوثق بغيره . فقلت لهم « وماذا تريدون إذا ؟ » فقالوا إنما جئناك لأخذ رأيك فيما دهمنا من الخطب العظيم »

فقلت لهم « أرى أن تطيبوا نفوسكم وتهذبوا روعكم ، وتعتمدوا على رؤسائكم ، وتفوضوا لهم النظر في مصالحكم ، وهم ينتخبون لهم رئيساً منهم يثقون به كل الوثوق ، يطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتكم » .

فقالوا كلهم : « وقد فوضنا إليك هذا الأمر وليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك » . فقلت لهم « لا . انظروا غيري وأنا أسمع له وأطيع وأنصح له جهدي » . فقالوا « لا نبغى غيرك ولا نثق إلا بك » فقلت : « ارجعوا لأنفسكم فإن هذا أمر عصيب لا يسع الحكومة إلا قتل من يقوم به ويدعو إليه » .

فقالوا : « نحن نفديك ونفدى الوطن بأرواحنا » .

فقلت لهم : « أقسموا لى بذلك » فأقسموا .

وفى الحال كتبت عريضة إلى دولة رئيس النظار رياض باشا

مقتضاها :

أولاً : الشكوى من تعصب عثمان رفقى لجنسه ، والإجحاف بحقوق الوطنيين ، والتمست فيها تشكيل مجلس نواب من نبهاء الأمة المصرية تنفيذاً للأمر الخديوى الصادر إبان توليته .

ثانياً : إبلاغ الجيش إلى ثمانية عشر ألفاً تطبيقاً لمنطوق الفرمان السلطانى .

ثالثاً : تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للمساواة بين جميع أصناف الموظفين ، بصرف النظر عن الأجناس والأديان والمذاهب .

رابعاً : تعيين ناظر الجهادية من أبناء البلاد على حسب القوانين العسكرية التى بأيدينا . ثم تلوت العريضة هذه على مسامع الجميع فوافقوا كلهم عليها فأمضيتها بإمضائى وختمتها بختمى وختم عليها على بك فهى أميرالائى الحرس الخديوى ، وعبد العال أمير ألائى السوارى . ولما تم ذلك صار ترتيب ما يلزم لحفظ الذات الخديوية وحفظ أعضاء العائلة الخديوية ، وحفظ الوزراء والأمراء الوطنيين إذا حدث

أى حادث من الضباط الشراكسة الطامعين فى التغلب على البلاد ، مع ترتيب اللازم لحفظ البيوت المالية وبيوت التجار من الأجانب والوطنيين من مطامع الرعاع ، وحفظنا أيضاً من بطش الحكومة إذا أرادت الإيقاع بنا أوقفنا الاجتماع على ذلك .

وما دعانا إلى مجلس نواب للأمة ينظر فى صوالحها ومصالحها إلا ما حل بالمرحوم إسماعيل صديق باشا الحائز لرتبة المشيرية التى من لوازمها حفظ صاحبها ولو باستعمال السلاح فى عهد الخديوى الأسبق إسماعيل باشا ، بسبب كلمة حق قالها ، وما حل بحضرة السيد حسن موسى العقاد بسبب كلمة عدل أراد بها مساواة الأهالى ، الذين دفعوا للحكومة سبعة عشر مليون ٠٠٠ ، ٠٠٠ ، ١٧ مليوناً من الجنيهات المصرية باسم المقابلة و ٠٠٠ ، ٠٠٠ ، ٥ ملايين أخرى باسم السهام ، بالأجانب أصحاب الديون ، وما حصل لكثير من القتل والخنق فى السجون بغير حق ولا تحقيق ، بل بمجرد ظلم وإجحاف واستعلاء على الناس بالقهر والجبروت بما تأباه النفوس الشريفة . وفى ضحوة الغد ذهبت إلى ديوان الداخلية وقدمت العريضة إلى دولة رئيس النظار فقال لنا : « سأنظر فى هذا الأمر وأتكلم مع ناظر الجهادية » وبعد يومين ذهبت إلى بيت الرئيس المذكور ومعى الأميران المذكوران ، فلما تمثلنا بين يديه وسألناه عما تم فى هذا الأمر فقال إن هذا الطلب مهلك ، وهو أشد خطراً

من العرض الذى قدمه أحمد أفندى فى الذى أرسل بسببه إلى السودان ، (وتحرير الخبر أن أحمد أفندى فى هذا كان كاتباً بديوان المالية ، وكان طلب المساواة مع خدمة الديوان المذكور لظلم حاق به فكان جزاؤه إرساله إلى مقبرة الأبرياء من المصريين بالسودان) فأجبت به بأننا لم نطلب إلا حقاً وعدلاً ، وليس فى طلب الحق من خطر ، على أننا نعتبرك أباً للمصريين فما هذا التعريض ، وما هذا التهديد ؟ فقال : « إنه ليس فى البلاد من هو أهل لمجلس النواب » فقلت له : « عجباً ، إنك مصرى وباقي النظار مصريون ، والحدويوى أيضاً مصرى ، أتظن أن مصر ولدتكم ثم أعقمت ؟ لا بل فيها من العلماء والفضلاء والنبهاء والبلغاء وعلى فرض أنه ليس فيها من يليق كما ظننت ، أفلا يمكن إنشاء مجلس يستمد معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية ، وبعد خمسة أعوام يتخرج منها رجال يخدمون الوطن بصائب فكرهم ويعضدون الحكومة فى مشروعاتها الوطنية ؟ فانبهر لذلك وقال لنا : « سننظر بدقة فى طلباتكم هذه » فانصرف على ذلك .

ولما كان يوم غرة ربيع الأول سنة ١٢٩٨ انعقد مجلس تحت رئاسة الحدويوى بعابدين حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين ، وكلهم من الترك والشراكسة إلا قليلاً من الأوربيين وقرروا فيه لزوم توقيف الثلاثة أمراء الآلايات الذين أمضوا على العريضة المتقدمة الذكر

ثم إجراء محاكمتهم في مجلس مخصوص مختلط من رجال الجهادية .
 فقال رئيس النظار رياض باشا : « إني أرى أنه إذا صار توقيف
 الميرالايات المذكورين يلزم أيضاً توقيف ناظر الجهادية ، لأنه في عدم
 توقيفه مثلهم خطراً عظيماً ، وذلك لما رأيته فيهم من الجراءة » فلم يوافق
 المرحوم الخديوى على ذلك ، وتعهد ناظر الجهادية المذكور بأنه ضامن
 لأخذنا بسهولة .

وفي الحال دُعى المرحوم أحمد خيرى باشا الشركسى وكان مهردار
 الحضرة الخديوية ، وصاحب الرأي النافذ ، فحضر وتلا بالجلس
 المذكور أمراً فحواه « أن هؤلاء الثلاثة أمراء آلايات أحمد عرابى ،
 وعلى فهمى ، وعبد العال حلمى ، مفسدون في الأرض ، وأنه يقتضى
 توقيفهم من الخدمة ومحاكمتهم على إفسادهم ، وبجازاتهم بأشد أنواع
 الجزاء في مجلس عسكري فوق العادة تحت رئاسة ناظر الجهادية ،
 ويكون من أعضائه أسطون باشا رئيس أركان الحرب (وهو أمريكى)
 وناظر المدارس الحربية أرفى باشا (وهو فرنساوى) » « فوقع الخديوى
 عليه وسلمه إلى ناظر الجهادية عثمان رفقى باشا وانفض المجلس بعد ذلك .
 وفي المساء أرسل ناظر الجهادية لكل منا تذكرة يدعونا فيها للحضور
 إلى ديوان الجهادية بقصر النيل في غد يوم ٢ شوال سنة ١٢٩٨ لنشهد
 الاحتفال بزفاف شقيقة الحضرة الخديوية المرحومة جميلة هانم ، وكان

وقت زفافها لم يحن بعد فتيقنا أنه يريد خدعتنا والبطش بنا ، فالتجأنا إلى جانب الحق سبحانه وتعالى ، وأخذنا حذرنا ثم أعددنا ما يلزم لنجاتنا إذا اقتضت الحال ذلك .

وحين حلول الوقت المعين ذهبنا إلى ديوان الجهادية فوجدناه غاصاً بجميع الشراكسة من رتبة الفريق إلى رتبة الملازم الثاني ، وجميع شبانهم بأيديهم الطبنجات ذوات ٦ طلقات مملوءة بالخرطيش ، وكلهم في فرح ومرح ولا فرح هناك ولا زفاف .

فلما حضرنا دعينا للحضور أمام مجلس الهلاك فأجبنا طائعين ، وتلى الأمر الحديوي الآنف ذكره ، ثم أمرنا بتسليم سيوفنا فأطعنا على هذا التسليم وما يعقبه من السجن وهو مخالف للفظ الحاكم بالتوقيف ، ثم تعين بحضرتنا من يستلم أمرة الآليات وساقونا إلى السجن في قاعة بقصر النيل ، ففرنا بين صفين من الشراكسة المسلحين ، وبعد إقفال السجن جاء خسرو باشا وكان رجلاً صلفاً جاهلاً فوقف خارج السجن وقال (ايه زنبيل لي هرفلر) يعنى (فلاحين شغالين بالمقاطف) . ولما أقفل علينا باب الغرفة قال على فهمى بك أحلنا : « والله لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار » وجزع جزعاً شديداً فأردت تشيته وقلت له متمثلاً بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفقى
 ذرعًا ، وعند الله منها المخرج
 ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
 فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فلا وأبيك ما كان إلّا هنيهة حتى جاءت أورطتان من آلاى الحرس
 الخديوى بقيادة الشهم الهام محمد أفندى عبيد البكباشى وأحدقوا بديوان
 الجهادية ، ثم أسرع بعض الضباط والصف ضباط وفتحوا الأبواب
 وأخرجونا من السجن ، وقد فر ناظر الجهادية الغشوم هاربًا ، وكذا
 رجال المجلس وغيرهم من المجتمعين .

ولما فرج الله علينا أسرعنا إلى العساكر وحذرتهم وأنذرتهم وقلت
 لهم : « لا تمدوا أيديكم بسوء إلى أحد من الجراكسة ، فإنهم موالينا
 وإخواننا استأثروا بأنفسهم علينا ونريد الإنصاف والمساواة معهم ليس
 إلّا ، ثم نظرت فوجدت بجانبى المرحوم اسماعيل كامل باشا أنفت نفسه
 أن يفر مع الفارين فأخذت بيده وضممته إلى صدرى أمام العساكر
 وقلت هذا جركسى كما تعلمون ولكنه أخى حرام علىّ دمه وماله
 وعرضه ، وكذلك غيره من الجراكسة » ، فانصرفوا بانتظام على بركة
 الله ، ثم سرنا جميعًا إلى قشلاق عابدين ، وكانت الأورطة الأولى من

الحرس الخديوى حكمدارية البيكباشى المرحوم أحمد افندى فرج واقفة أمام سراى الخديوية لحفظها منها ، عسى أن يطرأ من الأمور كما أمرت بذلك من قبل أمير آلاى الحرس على فهمى بك .

ولما تم وجود عساكر الآلاى المذكور أمر أمير الآلاى العساكر بحمل أسلحتهم بحركة (سلام دور) وعزفت الموسيقى بالسلام الخديوى ونادوا جميعاً « يعيش الخديوى » ثلاثاً وذلك كان إشارة وإعلاناً للقوم بأننا على إخلاصنا للحضرة الخديوية .

ثم لأنهم تشاوروا فيما بينهم فقال أسطون باشا الأمريكى : هذا عصيان ظاهر ، والواجب حصر القشلاق المذكور بالطوبجية والآيات الليادة ، ويطلب من هذا الآلاى تسليم الثلاثة أمراء ، فإن أبوا تضرب عليهم المدافع وتمطر عليهم البنادق ناراً حامية حتى يضطروا إلى التسليم . فاستحسن الجميع ذلك رأى الأمريكى ، ولكن ابتدره المرحوم إسماعيل كامل باشا المذكور آنفاً وقال : « أنا أعتقد اتفاق جميع أصناف العساكر على رأى واحد فلا يجدى هذا رأى نفعاً » .

وفى أثناء مفاوضاتهم حضر آلاى السوارى من طرة وانضم إلى آلاى الحرس ، ثم عزفت الموسيقى بالسلام الخديوى وهتفوا جميعاً « افندى مزجوق بشا » وأنا العاجز الضعيف كتبت إلى وكيل فرنسا السياسى فى مصر الكونت « دورنج » من غير أن يكون لى به . ولا بغيره

من قناصل الدول الأوربية سابق معرفة ولا مقابلة أتمس منه مخابرة باقى قناصل الدول بما حصل بيننا وبين حكومتنا من الخلاف وأطلب منهم التوسط فى إصلاح ذات البين .

ثم بتنا على ذلك ، وفى صباح الغد حضر لنا المرحوم أحمد خيرى باشا مهر دار الخديوى ومعه محمود سامى باشا ناظر الأوقاف ، من قبل الخديوى ، وقالوا لنا : « ماذا تريدون » فقلنا « العدل والمساواة » قالوا : « ثم ماذا ؟ » قلنا استبدال ناظر الجهادية برجل وطنى ، وتشكيل مجلس نواب للأمة ينظر فى مصالحها وصوالحها ، وتعديل قوانين العسكرية ، وإبلاغ الجيش إلى ثمانية عشر ألفاً ، ونحن على طاعتنا للحضرة الخديوية .

فذهبنا إلى الخديوى ثم رجعا وقال : « قد عزل عثمان رفقى فمن الذى تريدونه ناظراً للجهادية » قلنا الذى يختاره الخديوى من الوطنيين « فذهب وعاد ثانية وقالوا : « إن الخديوى يقول لكم اختاروا أنتم من ترضونه حتى لا يحصل منه مثل ما حصل من عثمان رفقى » فقلنا قد اخترنا هذا محمود سامى باشا وهو من أولاد المماليك الأول ، ولكنه صدق معنا ولم يقصد الغدر بنا » .

ثم صدرت الأوامر الخديوية بإعادة كل منا إلى آلايه وعزل عثمان رفقى وصار تولية محمود سامى على نظارة الجهادية مع نظارة الأوقاف ،

وأخذ في سن القوانين العادلة وتعديل القوانين الأصلية وتنقيحها .
ثم لما شاعت الأراجيف الكاذبة في أوروبا بنحروج العساكر المصرية
عن الطاعة حضر من الحكومة العثمانية وفد برئاسة المشير على نظامى باشا
وبمعيته أحمد راتب باشا والى الحجاز الآن لتحقيق أمر العصيان ، فرده
الخدويى قائلا : إن عساكرى على طاعتى ، وأن ليس ثم عصيان .
وبعد ذلك اجتهدت الحكومة فى غدرنا وأخذنا على غرة أو بحيلة من
ضروب الخيل ، ولما لم يوافقها ناظر الجهادية محمود سامى باشا على
نواياها صار عزله بتذكرة من رياض باشا رئيس النظار ، وتشدد عليه
بأن لا يجتمع بنا ولا يقيم بالعاصمة ، وتعين بدله داود باشا يكن ، وهو
عديل الخديوى ولكنه رجل جاهل أحمق مشؤوم فأسرع بإصدار أوامر
لا يُستطاع قبولها فردت إليه ونفرت القلوب منه .

فكتب له فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بأننا سنحضر بجميع العساكر
الموجودين فى القاهرة إلى ساحة عابدين لعرض طلباتنا على فخامة
الحضرة الفخيمة الخديوية فى الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الجمعة
الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ، وكلفته عرض ذلك على الحضرة
الخدوية ، ثم كتب إلى جميع قناصل الدول بذلك ، وأعلنتهم بحفظ
جميع رعاياهم فلا تخوف عليهم ولا على أموالهم .
وفى الوقت المعين اجتمعت الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية فى

رحبة عابدين ، وكان ما هو مسطر في بطون التواريخ وهو إسقاط الوزارة ، وترتيب مجلس النواب وإبلاغ الجيش إلى القدر المحدد بالفرمان .

وقد حيانا المرحوم الخديوى بإجابة تلك الطلبات العادلة . .
وقد تعرض لنا المستر كوكس قنصل إنكلترا بالإسكندرية حين ذاك وهددنا فلم نعبأ بتهديده لاعتمادى على صدق عزمى وطهارة ذمى .
ثم صار استدعاء شريف باشا من الإسكندرية وتعيينه رئيساً للوزارة على حسب اختيارنا له ، وتعيين محمود سامى باشا ناظرًا للجهادية ثانية ، وقد توقف شريف باشا فى القبول ٧ أيام ثم رضى بعد ذلك ، وصار توظيفى وكيلا للجهادية .

وفى تلك النظارة صارت الامتحانات وترقى كثير من الباشوات وأمرأ الآلايات والقائمقامية وغيرهم من جميع الرتب ، واستكملت الآلات ، وأنشئت القوانين العادلة ، وتعديلت الرواتب والمهايات بنسبة كل رتبة إلى مادونها ، وصرف الحقوق الموقوفة من زمن مديد ، وأنشئ مجلس النواب ، وجعل رئيسه أبو سلطان باشا ، وعمّ العدل واستقامت الأمور ، وحين ذاك عرضت على رتبة لواء (باشا) فرفضتها لثلاث أقال .
إنى إنما أشتغل لمصلحتى فقط ، وبقيت فى رتبة الميرالاي مدة وكالتى للجهادية .

وأما رفيقاي عبد العال حلمي وعلى فهمي فقد تشرفا برتبة الباشوية الرفيعة .

ثم إن مجلس النواب قرر في لائحته الأساسية أن يكون لهم الحق في نظر ميزانية الحكومة ومعرفة كيفية إيرادها ومصروفها ، بشرط عدم الخروج عن دائرة التعهدات الدولية وقانون التصفية ، فلم يجبه المرحوم شريف باشا لذلك ، لأنه سمحه الله أنخذ رأى السيرالت وكيل إنكلترا السياسي في مصر وقنصل فرنسا أيضاً فأشارا عليه بعدم قبول لائحة المجلس ، فأصر مجلس النواب على الطلب في تنفيذ لائحتهم فلم يوافقهم وقدم استعفاه ، واستعفت هيئة نظارته ، ثم تشكلت هيئة جديدة وتولى رياستها محمود سامي باشا وجعل من رجالها حسن باشا الشريعي رحمه الله تعالى ، والمرحوم سليمان باشا أباطلة ، والمرحوم عبد الله باشا فكرى ، والمرحوم محمود باشا فهمي وسعادة مصطفى باشا فهمي رئيس الوزارة المصرية الآن .

وجعلوني أيضاً ناظرًا للجهادية لأجل اطمئنان خاطر العسكرية الذين لا يأمنون غيري في ذاك الوقت فقبلت ذلك .

ثم أحسن عليّ برتبة لواء باشا من لدن المرحوم الخديوى توفيق باشا ، وكنت لا أريد ، ولكن قالوا إنه لا يليق أن يكون ناظر الجهادية

برتبة أمير آلاى وفى نظارته اللوات والفرقاء ، فقبلتها للضرورة ،
وشكرت للحضرة الخديوية .

وقد انتظمت الأمور وهدأت الأحوال وصارت العساكر فى أمن من
الغدر - ولكن ألحت أوربا على الدولة العلية فأرسلت وفدًا مندوبًا من
طرفها تحت رئاسة المشير المرخص درويش باشا بتحقيق ما يقال من
العصيان ، فجاء درويش باشا وبحث فى الأمر وكتب للحضرة السلطانية
بأن العساكر على الطاعة ، وكذلك كتب المرحوم الخديوى بالحقيقة
فأرسلت الحضرة السلطانية إلى الحضرة الخديوية أربعائة نيشان من أنواع
مختلفة للإحسان بها على المستحقين من ضباط العساكر ، وأحسن على
بنيشان الدرجة الأولى المجيدى ، وحضر بوابور مخصوص يحمله سعادة
سليم بك ياور الحضرة السلطانية فأينت استلام النيشان المذكور إلا من يد
مولاي الخديوى .

ثم كتب تلغرافًا إلى الما بين المهابوى يرفع تشكراتى الخيرية للحضرة
المقدسة السلطانية ، وتشرفت تلغرافيًا بقبول تشكراتى لدى جلالة
السلطان الأعظم وحصول المحظوظية لدى جلالته . كذا قيل بالتلغراف .
وفى شهر مايو سنة ١٨٨٢ جاءت الأساطيل الحربية الإنجليزية
والفرنساوية إلى ثغر الإسكندرية ، وتقدمت للحكومة المصرية لائحة
مشتركة من دولتى فرنسا وإنكلترا بحجفة باستقلال الحكومة المصرية

وحقوق الدولة العلية ، وتقدمت منها نسخة للخديوى فرفضها مجلس
النظار وقبلها الخديوى ، فاستعفت الوزراء من وظائفها ، وهاجت
الأفكار العمومية ، وطاشت العقول الزكية وجميع مجلس النواب ،
وقناصل الدول حول كعرف الضبع يطلبون منى حفظ الأمن والراحة
العمومية ، فقلت لهم لا قدرة على ذلك ، لأنى قد استعفيت .

فذهب وفد من مجلس النواب وطلب من الخديوى إعادتى إلى نظارة
الجهادية حفظاً للنظام والراحة فصدر الأمر الخديوى بإعادتى إلى النظارة
المذكورة ، ثم دعيت إلى الحضرة الفخيمة الخديوية ، فوجدت عنده
جميع قناصل الدول ما عدا وكيل إنكلترا السياسى وبحضرته درويش
باشا المندوب السلطانى ، فأخذ على تعهداً بحفظ رعايا الدول الأجنبية ،
وصار إعلان جميع مصالح الحكومة بذلك .

وفى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ حدثت حادثة إسكندرية المشؤومة بتدبير
ذوى الغايات لأجل تشويه أعالى فى نظر أوروبا ، وبخدش تعهدى
بالحفظ والأمن العمومى ، فأسرعت بإرسال العسكر إلى الإسكندرية
حتى ملئت شوارعها بالعساكر وانتهت الفتنة التى ابتدأ بها أحد المالطية
من التبعة الإنجليزية مع أحد حجارة الإسكندرية بإيعاز وتعليم .

ثم صار الشروع فى تحقيقها فى مجلس مختلط تحت رئاسة
ذى الفقار باشا محافظ الثغر ، ومن الغريب العجيب أنه لم يبحث أصلاً

فى الدماء التى سفكت ، بل كان البحث قاصراً على معرفة مقدار البضائع التى انتهبا الرعاع ليس إلا .

وبعد ذلك تشكلت الوزارة بمعرفة الخديوى تحت رئاسة المرحوم الطيب الذكر راغب باشا ، وكنت من رجالها أيضاً ، ثم انتقل الخديوى ودرويش باشا إلى الإسكندرية .

وفى يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت إفاضة إلى قومندان عساكر الإسكندرية من طرف أميرال الأسطول الإنجليزى يقول فيه إنه جارى تهديد العمارة الإنجليزية بترميم القلاع والاستحكامات وأنه يطلب تخريب القلاع وهدمها بأيدي العساكر المصرية ولأ ضرب الإسكندرية وخرب المدينة ودمرها .

فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الخديوى حضره درويش باشا المنسوب العثمانى ، وقدرى بك من رجال الوفد المذكور ، وجميع النظار وكبار الذوات المتقاعدين ، وبعد المذاكرة أجمعوا على رفض هذا الطلب والاستعداد للحرب ، ولكن لا يبدأ بها إلا بعد إطلاق ثلاث قنابل من الأسطول الإنجليزى حتى نكون نحن البادئين بالحرب ، فأعطيت الأوامر بذلك .

وعند إشراق يوم ١٢ يوليو بدأت مراكب الإنجليز بالضرب على

٥٩٠

مدينة الإسكندرية وجميع سواحلها ، وانتشب القتال بين مصر والحكومة الإنجليزية .

وأما الأسطول الفرنسي فاعتزل جانباً كالممتفرج . وضربت الطواحي حتى تهدمت استحكاماتها .

وفي أثناء الحرب خرج سكان المدينة مهاجرين منها خوفاً وهلعاً ، وفي اليوم الثامن انهزمت العساكر ، فرجعت إلى كفر الدوار واتخذت خطأً دفاعياً ، وتراجع المهزومون إلى ، وفي ١٤ يوليو أرسلت القطار الخديوي لاستحضار الخديوي ومعيته ومن معه من النظار ، ولما وصلت القطارات إلى سراي الرمل لركوب الحضرة الخديوية ورجوعه إلى عاصمة بلاده أبي أن يعود ، وأسرع في الذهاب إلى رأس التين بعائلته ومن بمعيته ، وانحاز إلى السفن الإنجليزية .

واستدام الحرب إلى أن قدر الله تعالى شأنه الخذلان العظيم في التل الكبير كما هو معلوم للجميع ، وتم الأمر بنفيها إلى جزيرة سيلان وخرجنا من مصر في يوم ١٩ صفر الخير سنة ١٣٠٠ على قطار مخصوص إلى السويس ، وفي سبعة عشر منه بارحنا الثغر المذكور على مركب إنكليزي اسمه « مريوطة » وفي أول شهر ربيع الأول خرجنا من السفينة إلى ثغر « كولومب » ومكثنا بها تسع عشرة سنة إلى أن تشرفت جزيرة سيلان بزيارة كريم الشيم عظيم الرأفة والحنو الدوق (كرنوال دريورك) ولي عهد

الحكومة الإنجليزية وتشرفت بزيارة سموه في مدينة كندى ، وتفضل على بالسؤال عن حال وما أقاسيه من تباريح الغربة وذل النني ، فقلت لسموه الإمبراطورى إني أعتبر تشريف سموه إلى هذه الجزيرة وتشريفى بإقبال سموه سبباً عظيماً لإنالتي نعمة الحرية ، والعود إلى وطني العزيز من لدن مولاي الخديوى عباس باشا الثاني .

فقال لي وهل تعرفه فقلت نعم وقبلت يد سموه منذ كان في سن ١٠ أعوام ، فوعدني خيراً ، فشكرت ودعوت ثم أحسن علىّ بسيجارة ملوكية قبلتها أدباً لحفظها تذكّاراً للطف سموه ولم أجرقها بنار . وفي ٦ صفر الخير سنة ١٣١٩ صدرت الإدارة الخديوية بالرخصة لي بالعود إلى مصر والإقامة فيها .

إني أرجو من مكارم سمو مولاي الخديوى عباس باشا تمام رضاه وقد عرضت لسموه العالى تشكراتى ودعواتى الخيرية الصادرة من صميم القواد وإخلاص النية .

وقد تفضل حفظه الله سبحانه وتعالى بحملى وعائلتي إلى مصر على مصاريف حكومته الخديوية ، فأرجو من الله أن يوفقنى لما يحبه ويرضاه ، هذا وإنى أبرأ إلى الله من حولى وقوقى في كل ما ذكرته أو فعلته .

وأنى يكون للمخلوق العاجز الضعيف مثلى من قوة تدافع بها إرادة

أوروبا وقوة إنكلترة العظمى ، فضلا عن بطش حكومة مصر القادرة وموافقة جلالة السلطان الأعظم على الإعلان بعصيانى فى جورنال الجوائب وانحياز حاكم البلاد إلى المحارب لنا ، وإنما كان ما كان بقضاء الله وقدره ولا راد لقضاء الله وقدره وليس فيه إلا مجرد الكسب الاختيارى الذى أثاب أو أعاقب عليه ، ولم يخطر ببالى أصلاً الاقتداء بالفاطميين والمتغلبين ، ولا بتأليف دولة عربية كما أرجف المرجفون .

لأنى أرى ذلك ضياعاً للإسلام عن بكرة أبيه ، وخروجاً عن طاعة الله ورسوله ﷺ وعلى آله والبرهان على ذلك ارتفاع صوتى بالمحافظة على حياة المرحوم الخديوى السابق كمحافظتى على نفسى بكرة وعشياً ، مع احترام أعضاء عائلته الكريمة ، يشهد لى بذلك ما هو واضح بدفتر الأخبار اليومية المحفوظ بالديوان الخديوى وإرادته الخديوية الصادرة إلى مجلس التحقيق بعد الخذلان العظيم بالتل الكبير ، وسجنتنا مع جميع رجال العسكرية وأعيان البلاد وحكامها وعلمائها وقضاتها وتجارها مما هو معلوم لدى الجميع وغنى عن البيان .

والله الذى لا إله إلا هو فالتى الحب وبارئ النسمة أنى ما خدمت بذلك دولة إنكلترا ولا فرنسا ، ولا كنت آلة لدولة ما ، ولا للخديوى الأسبق المرحوم إسماعيل باشا ، ولا للمرحوم حليم باشا ولا أوصى إلى بمساعدة الدولة العلية من عرش عظمها ، وإنما كنت أجتهد فى حفظ

استقلال بلادى مع نيل الحرية والعدل والمساواة لأهل بلادى
المساكين ، وأنا خادم لهم ، وناديت سرًا وإعلانًا بتأييدها وتأييد الذات
الخدنيوية .

ولكن المقادير الإلهية غالبية فانعكست المرنيات ، وتوالت
الصعوبات لنفاذ ما هو كائن فى علمه أزلا سبحانه وتعالى .

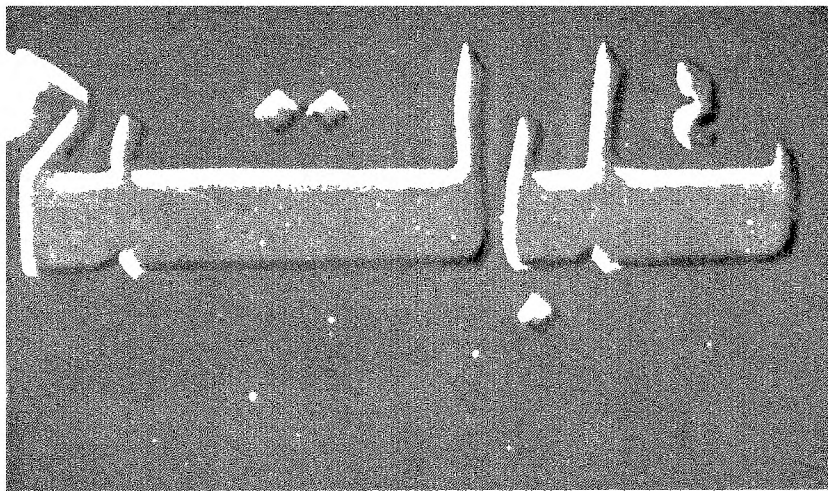
وإنى والله لا أكره شركسيًا ولا روميًا لذاته ، وإنما أكره الأعمال
المغايرة للعدالة والإنسانية والآداب الشريفة ، وأحب العدل والمساواة
بين بنى الإنسان

والحمد لله أولاً وآخراً ، والشكر لله ولحضرة الفخمة الخدنيوية التى
منحتنى نعمة العود إلى وطنى العزيز لأحظى برؤية ذاته الكريمة ورؤية
أبناء وطنى الكرام قبل أن أفارق هذه الحياة الدنيا والحساب على الله .
أحمد عرايى الحسينى المصرى

رقم الإيداع	١٩٨٣/٣١٧٢
الترقيم الدولي	٩٧٧-٠٢-٠٥٠١-٧
ISBN	

١/٨٢/١٨٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



هذا الكتاب

تصدر هذه المذكرات بمناسبة مرور مائة
عام على بداية الثورة العربية ، وهي
مذكرات تزيل الغبار عن كثير من الحقائق
التي احتلقت حولها المؤرخون ، وتظهر
جوانب أغفلها كثير من الباحثين . . .
والمذكرات أقرب إلى السيرة الذاتية
وهي تركز انعكاس شخصية أحمد ع
على أحداث الثورة التي تعتبر إحدى
العلامات المضيئة في تاريخنا الحديث .

Biblioteca Alexandrina



0334170

